

سلوكياتنا في العيد.. من منظور قرآني



الأحد 24 مايو 2020 02:32 م

يحدثنا القرآن الكريم في إشارة مهمة إلى بعض معاني العيد، وأنه مبعثٌ للسرور والفرح والاحتفاء، وذلك في الحوار بين سيدنا عيسى عليه السلام وأصحابه من الحواريين عن المائدة التي منحها الله لهم؛ ليسعدوا بها ويفرحوا، وتكون لهم رِخَاءً ورزقًا حسنًا وتكرمةً من الله لهم، ولتكون تذكيرًا لهم ولأجيالهم عبر العصور والأزمان؛ لذلك طلبوا من الله تبارك وتعالى أن ينزل عليهم مائدةً من السماء.. قال جلَّ في علاه ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَتُكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ قَمَرًا يَكْفُرُ بَعْدَ مَنكُم قَائِي أَعْدَبُهُ عَذَابًا لَا أَعْدَبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115)﴾ (المائدة).

لهو مباح

فعندما يرى الإسلام أن العيد مرح ولهو مباح فهذا إنما يكون في نطاق ما أحله الله، فهو لهوٌ للصغار وبهجةٌ للكبار بلهو الصغار، وفي الأعياد يكون اللهو المباح الذي فيه إسعاد للعبد وإرضاء للرب، فلا يجوز للمسلم أن يفرح ويمرح بشرب المسكرات أو لعب القمار كما يفعل البعض.. يقول تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)﴾ (المائدة).

وقد أحلَّ الله لنا اللهو المباح كما ورد عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في قوله لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: "دعها يا أبا بكر؛ فإن لكل قوم عيدًا وإن هذا عيدنا.." فأعيادنا أعياد طاعة لا معصية، أعياد شكر لله على نعمة الإسلام لا أعياد كفر، أعياد مرح وفرح ولهو مباح لا أعياد مجون وفجور وعصيان.. يقول الحسن البصري رحمه الله: "كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيدٌ، وكل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاة وذكره وشكره فهو له عيدٌ".

لا تقتير ولا إسراف

والعيد في الإسلام يوم إنفاقٍ وتجمُّلٍ وتزُّينٍ؛ حيث يرتدي الناس كل جديد وكل جميل، فيلبسون أفضل ما لديهم من ملابس، ويتطيبون بأجمل ما لديهم من طيب في هذا اليوم المبارك؛ احتفاءً واحتفالاً بهذا اليوم المبارك، وأيضًا يتناول الناس أطيب الطعام وأفضله.. يقول تبارك وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: آية 31، 32).

أحل الله تبارك وتعالى الطيبات من الطعام واللباس في ذلك اليوم، ولكنه تبارك وتعالى وضع ضوابط لذلك، وإن كان من معاني ومظاهر العيد الزيادة في الإنفاق على الطعام والشراب وغيرها من الملذات فقد أباح لنا تبارك وتعالى ذلك، لكن بضوابط وضعها الإسلام لهذه الأمة، فلا تقتير ولا إسراف ولا تبذير، فالمال مال الله، والإنسان إنما هو مستخلف فيه، سبحانه على ما له من أين اكتسبه وفيه أنفق!!

ومن هنا يتجلى المعنى الحقيقي للعيد، وهو شكر الله على ما أنعم به علينا من نعم، وإذا نظرنا إلى قيد عدم الإسراف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ لوجدنا:

1- فيه رفع للمشقة والكلفة عن الأستر محدودة الدخل.. فإذا دققنا النظر وأمعنا الفكر في الحكمة من قوله تعالى ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ لو تأملنا في الحكمة من هذا القيد لوجدنا إنما هو رفع للمشقة والكلفة عن أولئك الذين ليس لهم دخول تتناسب ومظاهر الإسراف في الأعياد، فيسود الأسرة المسلمة الاستقرار والقناعة والرضا.

2- فيه دفع للحسد والتباغض.. أيضًا لو أمعنا النظر لوجدنا في هذا القيد حكمة أخرى وفائدة عظيمة للمجتمع، وهي دفع الحسد، حسد من لا يملك لمن يملك، حسد غير القادر على الإنفاق بيزح لذلك القادر على الإسراف المسرف المبدِّر، الذي ينفق بلا حساب، والذي لا ينظر إلى ظروف الآخرين من حوله من المعدمين والمحتاجين.

3- تأسيس وتأسيس لمبدأ التكافل بين فئات المجتمع.. أيضًا لو أمعنا النظر في هذا القيد لوجدنا فيه حكمة أخرى، فهو دعامة من دعائم إقامة المجتمع العادل الذي ينظر إلى فئات المجتمع فيه بمنظورٍ واحدٍ، فيجعل للمسكين حقًا في عني الغني، ويتحقق التكافل الاجتماعي في أسمى صورته، ولربما دفع هذا القيد أولئك القادرين- الذين إذا ما التزموا بهذا الضابط فلم يسرفوا ولم يقتروا- أن يبذلوا بعض أموالهم في أوجه الخير والنفعة في المجتمع، وذلك

من فوائض اموالهم فيسدّوا حاجة المحتاجين والفقراء في المجتمع، فيكون عدم الإسراف دافعًا إلى بذل المال في اوجه الخير التي تعمّ المجتمع وتساهم في استقرار البلاد وراحة العباد، في زمن تزايدت فيه أعباء وكلفة المعيشة، وانتشر الفقر.

4- حصن للمسلم من فتنة المال.. بالتأكيد فالمال وزيادته أحد عوامل اغترار الإنسان، والمال قد يقود الإنسان إلى الكبر والتعالي على الآخرين، فيصبح المال فتنةً ونقمةً عليه، نعوذ بالله من فتنة المال.

والمال أحد وسائل التفاخر والتباهي والخيلاء، ينظر إليه الضعيف على أنه وسيلة قوة، وينظر إليه الوضع على أنه وسيلة رفعة وسمو، أما المسلم النقي النقي فينظر إليه على أنه مال الله وهو مستخلف فيه، يلتزم في اكتسابه بضوابط في تحرّي مصدر اكتسابه، وفي إنفاقه بضوابط أن ينفقه في أوجه الحلال، ويؤدي حق الله فيه وحق العباد من الزكاة والإنفاق وخلافه.

ومظهر الإسراف في الإنفاق هو وسيلة من وسائل تحقيق الغايات المذمومة التي ذكرناها في البشر ضعاف النفس الذين يتخذون الإسراف في الإنفاق وسيلةً للتباهي والتفاخر والاعتزاز بالمال، وهؤلاء تجدهم ينفقون المال فيما حرّم الله بالسهر والمجون وخلافه.

فإذا ما التزم المسلم بضابط عدم الإسراف في الإنفاق فإنه يخرج بنفسه من دائرة استخدام ماله في تحقيق مآرب ومصالح دنيوية، ويشكر الله على ما أعطاه من مال فينفقه في أوجهه وفي موضعه بلا تقتير أو إسراف؛ مما يعود بالنفع على الصالح العام وصالح الفرد نفسه في الدنيا والآخرة.

هذه بعض الضوابط التي وضعها الإسلام لاستقامة الأمة، وتهذيب النفس البشرية، وتربيتها على الوسطية، وفي ذلك الكثير من الخير للأمة، لو طبّقت هذه القيم والتّزم بها لعمّ الرخاء وزاد الرزق وما وجدنا محتاج.

<https://ikhwanonline.com/article/240015>